



4

مجلة تراثية فصلية

تصدرها وزارة الثقافة والاعلام ـ دار الجاحظ ـ الجمهورية العراقية

المجلد الثامن ـ العدد الرابع 1400 ـ 1979

سفارة من بغداد الى الامبراطور البيزنطي باسيل الثاني

بقلم

أميدروز [1]

ترجمة

يعقوب افرام منصور

بغداد ـ الجمهورية العراقية

تشتمل الصفحات التالية على عرض تفصيلي نوعا ما ، بمفاوضات خاصة بين عضد الدولة البويهي وبين الامبراطور (باسيل) ـ ذابح البلغاريين ـ جرت في اعقاب وجود (برداس سكليروز)[2] ـ المنافس المغلوب للامبراطور باسيل ـ في بغداد اسيرا معززا . ان اندحاره في بانكاليا[3] عام ٩٧٩ كان قريب العهد جدا باحتلال العراق نهائيا من قبل عضد الدولة ، تلاه اقصاء ابي تغلب الحمداني قسرا عن الموصل . لقد جمعت المصلحة الذاتية بين عضد الدولة وبين (برداس سكليروز) ، وقد عززت تلك المصلحة رابطة تجلت في مؤازرة احدهما الاخر لمجابهة خصمي كل منهما ، وقد تم قهرهما . كان اندحار ابي تغلب الحمداني نهائيا عندما تم لعساكر عضد الدولة البويهي اخراجه من ديار بكر ، ففر الى سوريا حيث قضت عليه يد غادرة ، لكنه حتى آنئذ لم يقم اي عائق منيع حال دون مطمح (سكليروز) . لقد فر الى ميافارقين التي آلت مؤخرا الى عضد الدولة ، ومنها أوفد شقيقه (قسطنطين) رسولا عنه الى بغداد ، مناشدا اغاثته[4] ، وعارضا له الولاء . في ذات الحين ، قدم الى بغداد رسول من الامبراطور (باسيل) مع تعليمات بالظفر ، مهما كلف الامر ـ بتسلم (سكليروز) الذي يبدو انه كان رهانا ثمينا في لعبة العاهل السياسية . عليه ناصر عضد الدولة قدومه الى بغداد سريعا مع اتباعه ، وابتدات اللعبة .

لقد عولج تاريخ الامبراطورية البيزنطية في هذه الحقبة من قبل المؤرخ شلمبرغر[5] في مؤلفين فرنسيين موسومين : (امبراطور بيزنطي في القرن العاشر)[6] بمجلد واحد يغطي فترة حكم (نيسيفوروس فوكاس)[7] و (الملحمة البيزنطية في ختام القرن العاشر)[8] في ثلاثة مجلدات ، الاول يشتمل على فترة حكم (جون زيميسكس)[9] ، وعهد

---

(١) H. F. Amedroz - والبحث منشور بمجلة الجمعية الآسيوية الملكية
Journal of The Royal Asiatic Society
لعام ١٩١٤ ـ الصفحات ٩١٥ ـ ٩٤٢ .

(٢) Badras Scleros الذي تذكره المصادر العربية التي اعتمدها صاحب البحث باسم (ورد) .

(٣) Pancalia لم اهتد اليها في معجم ياقوت

(٤) استعمل صاحب البحث كلمة (Succour) وهي تعني الاغاثة او اللجوء .

(٥) M. Schlumberger

(٦) Un Empereur Byzantin au xe Siecle

(٧) Nicephorus Phocas الذي ذكرته المصادر العربية التي اعتمدها صاحب البحث باسم (نقفور) .

(٨) L'Epopée Byzantine a la Fin du Xe Siecle

(٩) John Zimisces

(باسيل)(١٠) وحتى عهد بعدو أوان تلك الاحداث . لهذه الحقبة بالذات ، انتفع المؤلف بالمقتبسات ، المعلق عليها بالحواشي ، من تاريخ يحيى بن سعيد الانطاكي المكتوب حوالي عام ٤٠٦ للهجرة (الموافق ١٠١٥م) والذي هو تتمة لكتاب (يوطيخوس) المعروف بسعيد بن البطريق الاسكندري ، اللذين نشرا عام ١٨٨٣ من قبل فون روسن(١١) .

ان (شلمبرغر) يذكر ان عرض يحيى بن سعيد الانطاكي للاحداث يتسم بكونه اكثر استفاضة كما هو اكثر اتساقا مع الارجحية مما هو مستقى من المصادر البيزنطية ، ولذا فقد عدها اساسا لسرده الاخباري . كما ان عرض يحيى الانطاكي يتفق تماما مع نصوص تاريخ (تجارب الامم) لابي علي مسكويه ، التي تم الوقوف عليها مؤخرا ، وتتمتها (ذيل تجارب الامم) لابي شجاع(١٢) ، طبعة جب ، المجلد السادس ، ومنها تم استقاء تفصيل هذه المفاوضات .

ثمة بعض الالتباس في التواريخ الاسلامية بشأن اسمي برداس : فوكاس وسكليروز . فيحيى بن سعيد الانطاكي يميز بينهما بشكل صحيح . والاخير(١٣) مشار اليه في (تجارب الامم) ص٤٨٨ فيما يتعلق بابي تغلب ، بكونه الحاكم البيزنطي المعروف بـ (ورد) الذي استبدلته المساكر الناقمة بالحاكمين (باسيل) و (قسطنطين) ، كما ورد ذكره ثانية في ص (٥٠٠) فيما يتعلق بايفاد اخيه كرسول الى بغداد باسم « سكليروز المعروف باسم ورد » ، وفي فقرة من (ذيل تجارب الامم) الذي هو العماد في رواية ابن الاثير ، المجلد ٨ ص ٥١٦ – ٥١٧ ، يدعى (فوكاس) باسم (ورد) و (ورديس) بن لاؤون ، بينما (سكليروز) يدعى (ورد بن منير) . هذه التسمية الاخيرة عسيرة على الفهم ، ولو انها استعملت للدلالة على (فوكاس) بدلا من (سكليروز) لكانت اقل غموضا ، اذ ادى هذا اللبس في اسمه الى ان يدعى (فوتيوس)(١٤) . فان السيد (بروكس)(١٥) يفيدني بان نصا سريانيا أعده (ناو)(١٦) للنشر استنادا الى مخطوطين سريانيين مشتملين على اسماء لقديسين مختلفين تظهر بشكل مترجم(١٧) ، حيث نفس القديس في احد المخطوطين يدعى (فوكاس) ويدعى في المخطوط الاخر (نوهرا) التي تعني الضوء بالسريانية .

ان مبعوث الامبراطور باسيل الى بغداد يعرف عند المؤرخ يحيى بن سعيد الانطاكي بـ (نيسيفوروس اورانوس) الذي غدا فيما بعد قاضيا وواليا لانطاكية(١٨) بينما كتاب (تجارب الامم) في ص٥٠٠ يذكر فقط ان المبعوث كان شخصاً ذا منزلة متميزة ، ويؤكد على الحقيقة انه وشقيق(سكليروز) كانا سوية في بغداد يخطبان ود عضد الدولة ابان العام ٣٦٩هـ باكمله كظرف يفضي كثيرا الى اجلال ذلك العاهل . ونص (ذيل التجارب) المشار اليه آنفا ، الذي اورده ابن الاثير(١٩) ، يذكر اندحار

---

(١٠) Basil

(١١) في كتابه الموسوم : Von Rosen Zapiski Imp. Ak Nauk Vol. XLIV, Appendix I.

(١٢) تم العثور على مخطوطته في استانبول من قبل احمد زكي باشا (اميدروز) .

(١٣) يقصد سكليروز (Scleros)

(١٤) Photius

(١٥) Mr. E. W. Brooks

(١٦) Nau

(١٧) الجزء العاشر ص ٥٢ . Patr. Or.

(١٨) في ص ١٥٨ ، ١٥/١ ثم في ص ١٨٤ ، ٤/١ ويدعى Magister و Kuntus وفي ص ١٦٧ ، ٦/١ نقف على امر فراره من بغداد بعد اطلاق سراح (سكليروز) والتحق ثانية بباسيل . في العام ٩٩٦ دحر البلغاريين (اللمحة ١٣٤/٢ – ١٤٢) وفي عام (١٠٠٠) اضحى واليا على انطاكية خلفا لـ (دميانوس دالاسينوس) الذي اندحر وقتل في (افاميا) – انظر (ابن القلانسي ص ٥١ – ٥٢) و (اللمحة ص ١٥٨) – اميدروز .

(١٩) اكتشف (فون روسن) من دراسته لشطر يتعلق بـ (بورليان) في كتاب (تجارب الامم) المخطوط ، ص ٣٥٧ ، انه المصدر الذي اعتمدته رواية ابن الاثير (اللمحة ٤٢١/١ رقم ٤) . كما ان ابن الاثير استفاد من (ذيل التجارب) وفي الجزء ٨/ص ٥١٧ ورد ذكر وفاة زيميسكس بفعل السم الذي دسه له الشقيق المخصي لثيوفانو ، وهو الشقيق « الذي كان وزيرا منذ وفاة (رومانوس) ، والذي كان لقبه باركاموس (*) – او باراكوي مومينوس(**) – وبهذا الشكل توصل الى السلطة » . ان المخصي السالف ذكره كان (باسيل) ، الابن الطبيعي (غير الشرعي) لرومانوس ليكابينوس(***) الذي اعان نقفور (نيسيفوروس) في اعتلائه العرش ، واقصى برنجاس (****) . لكن في فقرة اخرى يورد ابن الاثير رواية اخرى . في استعراضه التاريخ البيزنطي حوالي ٤٣٣هـ ، منذ مولد باسيل فصاعدا (الجزء ٩ ص ٢٤٠ – ٢٤٢) يعزو دس السم الى كاهن حرضته « ثيوفانو »(*****) من منفاها في ←

* Barkamus
** Parakomomenos
*** Romanus Lecapenus
**** Bringas
***** Theophano

(ورد بن منير) أمام (ورديس بن لاؤون) بعد منازلتهما منفردين (انظر الملحمة ١/٤٢٣–٤٢٤)

ان الخطوة الثانية في اللعبة السياسية كانت ارسال مبعوث مسلم الى بيزنطية في عام ٣٧١هـ ، هو القاضي ابو بكر الباقلاني (ابن الاثير الجزء ٩ ص ١١ – ١٢ ، وقد ترجم له ابن خلكان في الجزء ٢ ص ٦٧١) . ويذكر المؤرخ يحيى الانطاكي (ص ٣/١/١٥٩) ان ارسال مبعوث بخصوص (سكليروز) الذي يدعوه (ابن سهره) – وفي احد مخطوطات الكتاب يرد ذكر الاسم صحيحا بانه ابن شهرام – وعد فون روسن هذا تحريفا لاسم القاضي وهذا من دواعي استغراب شلمبرغر (ص ٤٤٢ رقم ٢) نظرا لعدم المامه بالاحتمالات التي يعطيها الحرف الشرقي ، ويلوح ان استغرابه له ما يبرره . ان المهمة ، التي من اجلها ارسل القاضي ، لم تؤد الى نتيجة ملموسة ، هذا اذا تركنا جانبا الرواية الدرامية لتملصه من تقديم الاجلال الى (باسيل) كما سردها ابن الاثير ، وكذلك السمعاني في ملاحظته عن القاضي في (الانساب) – طبعة جب ٤/١/١٦٢– وافاد فضلا عن ذلك – كما يفيد فون روسن – بايفاد رسول عن عبدالرحمن القرطبي الى احد ملوك النورماند . اما انطلاق ابن شهرام في مهمته ، فقد جرى في تاريخ لاحق ابان عام ٣٧١هـ ، وكانت تعليماته – كما اورد يحيى بن سعيد الانطاكي – تتفق تماما مع نص (ذيل تجارب الامم) ، بيد ان نصا لاحقا اورده يحيى الانطاكي بشأن احتجاز (نيسيفوروس اورانوس) في بغداد بباعث من الارتياب في تدبير مكيدة القضاء على (سكليروز) بدس السم له (وهذا يتكرر في «المكين» و «الملحمة» ١/٤٤٣ رقم ٥) ، ليس ما يؤيده في كتاب (تجارب الامم) ولا في (ذيله) ، ويبدو انها في الحقيقة تتعارض كليا مع التفاصيل التالية بصدد المامورية التي من اجلها اوفد ابن شهرام .

* * *

ما يلي ترجمة نص (ذيل تجارب الامم) – النسخ المصورة ٤٤ – ٦٦ – التي يعود الفضل فيها كثيرا الى الاستاذ مرجليوث(٢٠) .

بيان بالمفاوضات التي جرت بين عضد الدولة وبين الحاكم البيزنطي بتبادل الاتصالات شفاها

ان الباعث على هذه الاتصالات ، هو الحقيقة التي سبق ذكرها ، الا وهي ان (برداس) قد نفذ الى الامصار الاسلامية ، وكان ذلك بمثابة نذير للحاكم البيزنطي ، فاوفد مبعوثا الى عضد الدولة . وارسل الرد بوساطة ابي بكر محمد بن الطيب الاشعري ، المعروف بابن الباقلاني(٢١) ، الذي آب مع مبعوث يعرف بابن قونس الذي ، عند رجوعه ، مضى برفقة ابي اسحق بن شهرام بطلب عدد من المعاقل من العاهل البيزنطي . فوصل ومعه رسول يدعى نيسيفوروس الكانكلي(٢٢) وهو يحمل هدية سنية .

خلاصة بكل ما جرى حسب اقوال ابن شهرام نمت عن حصافته وحيطته وحزمه

تقول الخلاصة : « عند وصولي خرشنة ، علمت ان الخصيص(٢٣) (يقصد برداس فوكاس) قد غادر القسطنطينية، وشرع في اعداد استعداداته وان معه مبعوثا من حلب يعرف بابن (مامك) ، وكذلك كليب ، حمو ابي صالح السديد . وكان كليب احد مناصري (برداس) وضمن المتمردين الذين صدر الصفح عنهم ، واقاموا في ارض بيزنطية بعد تفريمهم . لقد اعتزم البيزنطيون تفريمه سوة

دير ناء ، ومنه عادت في اليوم الذي قضى فيه زيمسكس، بينما ورث باسيل العرش وهي وصية عليه بسبب حداثته . وتاريخ يحيى بن سعيد الانطاكي ص ١/١/١٤٧ يذكر فقط وفاته عام ٣٦٥هـ ، ويقول ان بسيل وقسطنطين ولدي (رومانوس) اصبحا الحاكمين الحقيقيين ، لكن الحكومة اديرت من اكبرهما (باسيل) فقط . وكانت سنه آنذاك ١٨ عاما ، وانه اعتمد على (البركاموس) واستدعى والدته (ثيوفانو) من المنفى – اميدروز .

(٢٠) Professor D. S. Margoliouth

(٢١) انظر ابن خلكان ٢/٦٧١ – اميدروز

(٢٢) هذا المامور هو نيسيفوروس Nicephorus the Kanikleios (نقفور) اورانوس وقد نعتت في (ذيل التجارب) بالكانكلي الماخوذة من (كانيكليوس) الرومية التي تعني حامل الدواة (المحبرة) .

(٢٣) استنادا الى بعض القواميس استطيع ان ادل على كلمة (Domesticus) بمعنى (خصيص) وهي في اعتقادي توازي رتبة مدير المكتب الخاص في عهدنا وقد دل عليها (ذيل تجارب الامم) بـ (الدمستق) .

بالاخرين ، وليخسر الاملاك التي وهبت له عندما استنبط وسيلة لتسليمهم حصن (برزويه)(٢٤) ، لكنه ألفى وسيلة لارضاء الحاجب(٢٥) والخصيص ، واستطاع الحصول على تعهدات للعاهل البيزنطي بخصوص حلب وغيرها ، كانت كافية ان تدفــع خطرا عاجلا ، مع العرض بضمان دفع فوري لمـــا يتعلق بخراج حلب وحمص لان قريبه هو الذي وعد وما كان ليعارضه . فتخلص منه بهذا الشكل . اما المبعوث من حلب ، فلم تتم تسوية اي شيء معه ، لكنه طولب بتراكمات خراج السنين السالفة .

وعند وصول الخصيص الى موضع ينأى عن طريق البريد ، انطلق نحوه ابن (قونس) وانا معه، فالفينه حدثا مزهوا بنفسه ، وكارها اتمام المهادنة لعوامل مختلفة ، أحدها انه يستطيع الاستغنـاء عنها في الوقت الراهن ، وانها ستضر بسمعته ، وثانيهـا ان الحـاكم البيزنطي كان تواقا اليهـا ، معبرا : « ونحن في خشية من ايذاء يلحقنا منه » ، وثالثها : آماله وامنياته الذاتية . لكن في ذات الوقت ابان عن لطفه ، وارتضى المصالحة المعروضة مع الاعراب عن شكره .

ثم استفهمني الفرض من قدومي ، فاوقفته على ذلك بشكل واف . واسترعى (ابن قونس) انتباهه الى الصيغ المشترطة ، فلما اطلع عليها ، قال : لو افلح الرؤساء في جعلنا نتخلى لهم وديا عن المناطق والحصون التي يرومون ، لشرع كل منهم في التخطيط لتحاشي ضرورة الابقاء على قــوة مــن الرجال ، والقيام بتسديد الاموال . فاجبت : انه حيث تم دعم التدبير بالقوة والمقدرة ، فهذا برهان على نبل المسلك ، ويجب ان يجابه بالقبـــول . فاستفسر : « لكن ماذا بشأن حلب ؟ فهي ليست شطرا من منطقتكم (يقصد ملك عضد الدولة) ، وحاكمها لا يهتم بكم ، ومبعوثه هنا وكليب يعرضان علينا خراج ارضها ، وينشدان حمايتنا ، امـــا بخصوص الحصون ، فقد ضبطت في عهد عمي نيسيفوروس(٢٦) وملوك آخرين ، ولسنا احرارا في التخلي عنها . لذا ان استطعت ان تقدم اي اقتراح عداه ، فافعل ، والا فوفر على نفسك مشقة الرحلة الطويلة » . اجبت : « ان حزت ايعاز مليكك بمغادرتي ، فاني سابارح ، لكن اذا قلت ذلك من تلقاء ذاتك فقط ، فالمليك يجب(٢٧) ان يصغي الى ما اقول ، واسمع رده كي اعود بمعلومات موثوقة » . فأجاز سيري . فانطلقت نحو القسطنطينية ، ودخلتها بعد ان استقبلني ورافقني مأمور البلاط بمنتهى اللطف . وانزلت باعـزاز في جوســق نيسيفوروس (حامل الدواة) ـ المبعوث الذي معي ـ وكان من اعوان العاهل . ثم استدعيت للمثول امام الحاجب (اي باسيل المخصي) الذي قال : « قد وقفنا على المخاطبات التي حملت على ارسالك ، لكن افصح عن مراميــك » . آنذاك ، ابرزت الاتفاق الحقيقي(٢٨) الذي تفحصه ، ثم قال « الم يتم حسم التخلي عن خراج بلاد ابي تغلب(٢٩) ، سابقا ولاحقا ، مع الباقلاني وفقا لرغباتكم ؟ الم يرتض شروطنـــا لارجـــاع الحصـــــون التي قــد

(٢٤) استنادا الى ياقوت الحموي : « حصن قرب السواحل الشامية على سن جبل شاهق ، يضرب بها المثل في جميع بلاد الافرنج بالحصانة ، تحيط بها أودية من جميع جوانبها ، وذرع علو قلعتها (٥٧٠) ذراعا ، كانت بيد الافرنج حتى فتحها الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب في سنة ٥٨٤ » . ويقـول اميدروز صاحب البحث انها كانت على الطريق التي سلكها (زيمسكس) في آخر حملة على سوريا عام ٣٦٤هـ ، وان وصف يحيى الانطاكي في تاريخه بشأن التسليم وتسمية كليب حاكما على انطاكية (ص ٥/١/١٤٦) وارد في الملحمة (٢٩٩/١) ، وقد سلم كليب نفسه وانطاكية ايضا فيما بعد الى (سكليروز) الذي جعله واليا على (ملاطية) ص ٨/١/١٤٧ وص ٦/١/١٤٨ ـ و (الملحمة ٢٧٦/١-٢٧٧)، وان سيف الدولة ضبط (برزوية) من البيزنطيين عام ٣٢٧ كما ورد في كتاب موسوم (امبراطور بيزنطي ص ١٣٢/رقم ١) .

(٢٥) استنادا الى القواميس تعني هذه الكلمة (Chamberlain) : « الحاجب » كما تعني أمين الخزانة أو المال ، والمعنى الأول أقرب الى المراد في اعتقادي ، وقد أوردها كتاب (ذيل تجارب الامم) بصيغة (البركموس) وهو المخصي (باسيل) الذي أعلن عن موالاته لنيسيفوروس فوكاس ، وعند فوزه حل محل برنجاس(*) كرئيس المستشارين، ولبث كذلك حتى طرده (باسيل) عام ٣٧٥هـ (عام ٩٨٥م) استنادا الى تاريخ يحيى الانطاكي (ص ١٦٥/١/ ١٣) والى (الملحمة ٥٧٣/١) ـ اميدروز والمترجم .

(*) Bringas

(٢٦) كان المتكلم نجل ليون فوكاس ، شقيق نيسيفوروس ـ اميدروز .

(٢٧) استعمل صاحب البحث معنى الوجوب بكلمة (Ought) بينما صاحب (ذيل التجارب) استعمل معنى الجواز بكلمة (يجوز) .

(٢٨) ان النص الانكليزي للبحث نعت الاتفاق بكونه (الحقيقي) بينما نص (ذيل التجارب) نعته بكونه (الظاهر) .

(٢٩) ابن ووريث حكم ناصر الدولة في الموصل ـ اميدروز .

ضبطناها(٣٠) ، وفي القبض على برداس (ورد) ؟ لقد ارتضى سيدك هذا الاتفاق ، وعمل وفقــا لرغباتنا ، اذ لديكم تصديقه على المهادنة بخــط يده »(٣١) . فأجبت : « لم يتوصل الباقلاني الى اي اتفاق قط » . فأجاب : « انه لم يغادر الا بعد ان سوى شروط الاتفاق الذي مصادقة مولاه عليه كانت سترسل الينا ، وقد سبق ان ابرز خطابه بشأن الموافقة على الشروط باكملها » . لذا ارغمت ان اجد وسيلة لمجابهة هذا الوضع(٣٢) .

فكرة رائعة عنت لابن شهرام لرد حجة الخصم

فقلت : « لم يتوصل ابن الباقلاني الى اي اتفاق معكم . ان ابن قونس هو الذي صاغ هــذا العهد واخذ نصه الافريقي » . عندئذ استشاط(٣٣) الحاجب واستفهم ابن قونس : «من خولك بهذا ؟» فاجاب انه لا هو ولا ابن الباقلاني قد سويا اي شيء، وانسحبت .

وغب ايام استدعاني الحاجب ، واعاد قراءة الاتفاق ، فتوقف حيث تطرق الموضوع الى « ما يجب حسمه مع ابن شهرام على اساس ما تضمنته النسخة الثالثة » . فقال بان هذه احدى النسخ ؛ فاين النسختان الاخريان ؟ لدى مراجعتي تلك الفقرة ، الفيت السهو قد وقع في ترك ذلك ، وقلت: « معنى الفقرة هو ان يكون الاتفاق بثلاث نسخ : احداها تكون لدى الحاكم البيزنطي ، والثانية تكون في حلب ، والثالثة في العاصمة ــ بغداد » فدحض ابن قونس ذلك ، قائلا ، ان تعليماته كانت ان يدون المعنى الحقيقي للاتفاق وقال الحاجب ان هــذه النسخة كانت المعول عليها(٢٤) ، وان النسخة الثانية اتت على ذكر لتخلي عن الحصون ، بينما النسخة الثالثة لم تتطرق الى اي ذكر لحلب ، وان الاتفاق تم توقيعه بمقتضى الشروط المتفق عليها مع ابن الباقلاني ، والغرض الوحيد من ارسال هذه النسخة هو استحصال توقيع الملك وختمــه عليها . فكان ردي على ذلك : « يستحيل ان يكون الامر كذلك ، فتعليماتي هي مجرد ما ذكرت بشــأن حلــب والحصون ، وفقا للاتفاق الذي شــاهدت » . فأجاب : « لو كان برداس (ورد) ــ اي سكليروز ــ هنا في العسكر ، وضبطتمونا جميعا اسرى ، ما كان في مقدورك ان تطالب باكثر ممــا طلبت . فكيف و (ورد) هو في الواقع اسير ؟ » .

رد حصيف لابن شهرام

اجبت : « لا اهمية(٢٥) لافتراضك : « لو كان (ورد) في العسكر » ، لانك تعلم جيدا(٢٦) ان ابا تغلب (الذي لا يرقى الى مصاف ادنى اتباع عضد الدولة) عندما اعان وردا ، الحق الهزائم(٢٧) بالملوك البيزنطيين طيلة سبعة اعوام . فكيف كانت الحال ستغدو لو ان عضد الدولة اعانه بجيشه ؟ ومع ان (وردا) اسير في قبضتنا ، فهو ليس عرضة للتمثيل كما تفعلون باسراكم . ووجوده في العاصمة افضل لنا(٢٨) ، اذ اننا لم نجعله مقيدا . ولو فعلنا ، لربما ضاق صدره بصدّه عنا ، ويئس منا مستوحشا ، وتخلى عنا . بيد انه يعمل الان برفقتنا ، ومطمئن الى الابهة والامن اللذين يشاهدهما في العاصمة . والحقيقة اننا نمسك بكل الحبال » .

لقد اثرت فيه كلماتي ، واربكته كثيرا ، لانه ادرك صحتها ، فقال : « ليس في الوسع تلبيــة مطلبك . ان اردت ، سنوقع على ما اتفق عليه مع الباقلاني ، والا فانصرف » فاجبت : « ان شئت انصرافي بدون الاستماع الى العاهل ، فسأفعل » اجاب : انه تكلم نيابة عن العاهل ، لكنه سيأذن لي في المثول امامه .

في غضون ايام قلائل استدعيت فحضرت ،

---

(٣٠) نص البحث يفيد قول الحاجب البيزنطي بموافقــة الباقلاني على شروط البيزنطيين لاعادة الحصــون التي قد ضبطوها :
"The Fortresses we had taken,..."
بينما نص (ذيل التجارب) يفيد النقيض : « رد الحصون التي اخذت منا » .

(٣١) نص البحث يعطي المعنى الذي ترجمته للعبارة :
"For you have his ratification of the truce under his own hand"
بينما نص (ذيل التجارب) فاسد المعنى : « وطلبنا ان خطك معك بتمام الهدنة » .

(٣٢) نص (ذيل التجارب) لهذه الجملــة متسم بالضعف والغموض : « فاحتجت الى ان اتطلب مجالا اقاوم بــه مجالهم » .

(٣٣) في (ذيل التجــارب) وردت هــذه الكلمــة (اشستط) وصحيحها استشاط او اشتاط .

(٢٤) في النص الانكليزي ورد هذا اللفظ (Ruling) وهو مرادف للفظ الدارج (يحكم او ياكل) بينما نص (ذيل التجارب) يذكر (النسخة الظاهرة) .

(٢٥) نص (ذيل التجارب) يذكر « غلط » هذا القول المفترض

(٢٦) نص (ذيل التجارب) يذكر (تعلم) فقط .

(٢٧) نص (ذيل التجارب) يذكر (اهلك ملك الروم) .

(٢٨) نص (ذيل التجارب) يذكر (احوط لنا) .

وطلب العاهل البيزنطي (باسيل) اعادة ما سبق ان تم التذاكر بشأنه في حضوري ، فقال : « لقد جئتنا برسالة تستحق الشجب[٣٩] ، فرسولكم جاء واستحصل قبولنا بشروط معينة ، تضمنت اعادة الحصون التي ضبطت ابان العصيان ، وانت الان تطلب التخلي عن حصون اخرى استولى عليها اسلافي . فاما ان ترتضوا ما تم عليه الاشتراط اولا ، او انطلق بسلام » . فاجبت : « لكن الباقلاني لم يتفق على شيء ، اذ فيما يتعلق بالصك الذي جلبه معه ، لقد جردتمونا ـ وفق شروطه ـ من نصف اراضينا . فكيف تقر شيئا كهذا ضد انفسنا ؟ فالحصون في ديار بكر[٤٠] لا تضبطون منها شيئا ، وديار بكر الان تؤول الينا[٤١] . كل ما تستطيع ان تفعل هو ان تنازعنا اياها ، وتجهل ما سيغدو مصير الصراع . آنئذ تدخل الحاجب[٤٢] قائلا : « هذا السفير متفنن في الجدال ، وفي مقدوره ان يزين الكلام[٤٣] ، والموت افضل لنا من الاذعان لهذه الشروط . دعه ينصرف الى سيده » . فنهض العاهل ، وانصرفت .

انصرم شهران على مكوثي في القسطنطينية ، فاستدعاني الحاجب ، وكان برفقته المشير[٤٤] ـ وهو والد الخصيص ـ الذي الحق به العمى[٤٥] ، وعدد من البطارقة وتداولنا في امر الحصون . فعرضوا التخلي عن خراج حصن (كيفا) في حوزة والدة ابي تغلب التي كانت تستلم الخراج ، فكان جوابي عن ذلك : « وانا بدوري سأتنازل لكم عن خراج سمند[٤٦] (تكتب كذلك اسمند ـ قرية قرب سمرقند ـ استنادا الى ياقوت الحموي) . ولما استفهموا معنى ذلك ، اجبت : « ان الاطـراف القصوى فقط هي التي تحدد في الاتفاق كي يكون جليا ان كل ما هو ضمن الاطراف مشمول بالهدنة فحصن (كيفا) هو قبل آمد (ديار بكر) بخمسة ايام . فكيف تذكرونه ؟ » .

اما الخلاف بشأن حلب ، فظل قائما حتى قال المشير (او القيم) : « ان سدد حاكم حلب الخراج الينا ، فسنعلم ان اقوالك باطلة ، وانه بفضلنا عليكم » . فاجبت : « وما هو الاثبات الذي نملك بانكم لم تستميلوا كاتبه وحماه كليبا ليؤدي لكم شيئا ، فتتخذوه حجة ؟ فبغير حيلة ، اعلم ان ذلك لا يصح » ثم انصرفت .

ثم استدعاني العاهل ، وكان خراج حلب قد وصل آنذاك ، فالفيت لهجتهم قد تغيرت في الحدة والحزم ، اذ قالوا : « ها قد اتى خراج حلب ، وقد طلب الينا حاكمها التوصل الى اتفاق معه بشأن بلدتي (حران) و (سروج) وفي مؤازرته لمهاجمتكم وقوى اخرى » . فقلت : « انا اعلم ان استلامكم الخراج بحيلة ، اذ ان عضد الدولة لم يتصور انكم ستجيزون لانفسكم القيام بما اقدمتم عليه ، والا كان في مقدوره ان يجرد جيشا لايقاف عسكركم . اما الذي تروونه عن حاكم حلب ، فانا اعلم منكم بافكاره ، وكل ما بلغكم عنه عـار عن الصحـة ، والدعوة فيها (حلب) قائمة لعضد الدولة[٤٧] . فسألوا ان كان لدي ما اضيف ، وعند اجابتـي « كلا » ، اجابوا بان استاذن الملك بالانصـراف مصاحبا بالحماية . فقلت : سأفعل ذلك فورا . واستدرت نحو العاهل للاستئذان منه .

تحليل سليم لابن شهرام في هذا المأزق

ان تعليله كما يلي : « تأملت الحال ، مدركا ان الحاجب والمشير (او القيم) والباقين معهما يعارضون الهدنة المقترحة (فرجال الجيش يخشون الاستغناء عن سيوفهم ، والنقص في ارزاقهم كما كانت الحال عندما تعقد الهـدنة في بيزنطيـة) ،

(٣٩) نص (ذيل التجارب) يذكر : (يا هـذا قد جئت بأمر منكر) .

(٤٠) في نص (ذيل التجـارب) ورد هـذا النص كالآتـي : « فالحصون التي في ديار بكر منها شيء في قبضك » واعتقد ان النص يجب ان يكون : « ... ليس منهـا شيء » .

(٤١) لا يشتمل نص (ذيل التجـارب) على هـذه العبـارة « وديار بكر الآن تؤول الينا » .

(٤٢) لا ينمت (ذيل التجارب) مقال الحاجب بالتدخل بل يذكر : « فقال البركموس » .

(٤٣) نص (ذيل التجارب) يذكر : « هذا رجل ذو جـدل وتمويه للاقوال » .

(٤٤) النص الانكليزي يذكر (Marshal) بينما نص (ذيل التجارب) يذكر (القربلاط) وهي تعني كذلك القيم على البلاط او المراسيم او التشريفات .

(٤٥) هذا المشير او القيم هو ليون فوكاس ، وقد الحق به العمى بسبب تستره على عصيان نجله برداس (ورد) على جون زيميسكس . لكن التمثيل به في هذه المـرة اجري قصدا برفق . انظر (الملحمة ٦٦/١) ـ اميدروز

(٤٦) يلاحظ التمعن اللبيب انطواء هذا القول على سخـرية بدلالة السطور التي تليه .

(٤٧) عندما وصل الى بغـداد سعد الدولة ، نجل سيـف الدولة ، قدم خضوعه الى عضد الدولة ، وادخـل اسمه في الدعاء بعد اسم الخليفة (يحيى بن سعيـد الانطاكي ص ١٨/١/١٥٧) ـ اميدروز .

والسبيل الوحيد الذي تبقى هو استمالة المليك واسترضاؤه(٤٨) ، فخاطبته قائلا : « ايها العاهل الا تتأمل مسلك عضد الدولة تجاهك في عدم مناصرته عدوك ، وفي عدم مهاجمته بلادك عندما كنت منشغلا مع العصاة ضدك ، اذ انك تعلم ان ارضيته لوحده ، وهو مليك المسلمين ، فذلك امر جيد وخير ، وخلافا لذلك يتحتم عليك ارضاء الالوف من مشايعتك ، ورضاهم غير موثوق منه ، واذا اخفقت في الحصول عليه ، فربما عليك ان تسترضي عضد الدولة فيما بعد . كما تعلم ان جميع من حوله يعارضون الهدنة المطروحة ، اذ هو فقط يميل اليها ، فهو قادر ان يفعل ما يريد ، اذ لا يجرؤ فرد ان يحاججه في ذلك. ارى انك تحبذ المهادنة معه ، لكن قد تكون رغبتك غير مدعمة من قبل اولئك المحيطين بك » . فانفعل بحديثي ، ولاح عليه الهم(٤٩) من جراء علمي بمعارضة مستشاريه ، فنهض وغادر .

ان الشخص الخصيص بالعاهل ، والذي يقف حياله ، ويوقع نيابة عنه باللون الارجواني ، والملم بكل شؤونه الرسمية ، كان نيسيفوروس (نقفور) الكانكلي (حامل الدواة) الذي رافقني مبعوثا ، فسألته الانصراف معي ، ففعل .

الترتيب الذي توصل اليه ابن شهرام مع المستشار الخصيص بالعاهل ، وبه اصاب غرضه

عندما انفردت به ، تكلمت : « اروم ان تبلغ عني رسالة الى المليك . لقد طال مقامي هنا ، فعرفني بقراره النهائي . ان لبى مطاليبي ، فهذا حسن ، والا فلا وجه لمقامي بعد الان » . وقدمت الى هذا الخصيص هدية تكريمية مما قد جلبته معي ، مشفوعة بوعود حسنة نيابة عن عضد الدولة. كانت رسالتي كالتالي : «ايها المليك : الاهتمام الاول هو ان تصون نفسك ، ثم ملكك ، ثم اتباعك عليك الا تثق بفرد ، مصلحته في اضرارك ، فبعون ابي تغلب نجم ما جرى في بلادك . اذا ماذا سيحدث لو ان عضد الدولة آزر القوات المعادية ضدك ؟ ان التوصل الى المهادنة بينك وبين اول الرجال(٥٠) وحاكم الاسلام ، لا اراه موافقا لهوى مستشاريك . لا يدرك الانسان الا ما لم يجرب ، ولقد حصلت لديك تجارب سبع سنين من العصيان عليك وعلى سلطتك فضلا عن ذلك ، أن دوام الدولة لا يعني دوام بقائك فالبيزنطيون لا يبالون بمن يكون عليها امبراطورا (النص هنا محرف)(٥١) . هذا على افتراض ان عضد الدولة باق في السلطة ، لقد اسديت اليك حسن المشورة ، لعلمي بميل صاحبي وتقديره نحوك . لذا تأمل خطابي ، وافعل كما تراه الافضل» فعاد (نقفور) قائلا : « الجواب هو ان الامور كما ذكرت ، لكن ليس في مقدوري مقاومة الجماعة ، وهم يحماون عني فكرة من غشهم وآذاهم . مع ذلك ، سامضي في الامر ، وافعل بقدر ما استطيع»

ومن حسن الطالع ، صادف ان الحاجب (باسيل المخصي) مرض مرضا شديدا ، وعجز عن الخروج ، واستمر تراسلي مع العاهل ، ومثلت امامه في ايام متوالية ، وخاطبني بنفسه ، وآزرني الخصيص (حامل الدواة) بدافع من البغض والحسد اللذين يكنهما للحاجب ، حتى تم الاتفاق على الهدنة وفقا لجميع الشروط في الاتفاق ، ولم تلق المحاولات لاخراج حلب قبولا . وعند الحاجي على هذه النقطة بعزم قائلا : « بدون حلب لا يمكن ان يتم هذا » ، قال : « اقلع عن الاصرار ، فاننا لن نتخلى اكثر مما تخلينا عنه ، كما لن نخلي منطقة نستلم خراجها الا قسرا . لكني سانفذ معك خطابا الى صديقي مولاك ، لاني واقف على نبله ، ولانه متى عرف الحقيقة ، فان يجانبها » . ثم طلب الى الذين حوله ان يبتعدوا ، وسرني قائلا : « قل لمولاك اني انشد حقا رضاه ، لكن يجب ان امتلك برهانا عليه . ان شئتم ان نحوّل اليكم خراج حلب او ان اترك لكم جبايته شريطة ان يطرد ابن حمدان من حلب ، فانجزوا ما وعدتم عن لسان ابن قونس» — ملمحا الى تسليم بدراس « ورد » — فقلت : « لم اسمع بذلك ، ولم اكن حاضرا آنذاك ، لكني احسب فعله مستبعدا » . فانكر ذلك قائلا : « اقلع عن هذه الاطالة ، فلم يبق لديك شيء آخر تحاورني بشأنه » . ثم اوعز بتحرير الردود ، وكتبت جوابي ، وحضرت للاستئذان بالرحيل .

---

(٤٨) يذكر نص (ذيل التجارب) : « الرفق به » وهذه كلمة كبيرة في صدورها عن رسول يتعامل مع عاهل ، وقد استعمل صاحب البحث كلمة (Conciliate) التي تعني (يسترضي) وهي انسب في اعتقادي .

(٤٩) استعمل صاحب البحث كلمة (Concern) وهي تعني الهم هنا ، بينما مؤلف (ذيل التجارب) اورد (الامتعاض) .

(٥٠) هكذا جاء في نص البحث "First of Men" بينما في (ذيل التجارب) وصف باوحد الدنيا .

(٥١) هذه ملاحظة صاحب البحث .

حادث سعيد لابن شهرام

ولعدم رغبتي في وقوع مقدور يؤدي الى موت من راموا تسليمه ، كما يقع في نظير هذه الاحوال (النص هنا يبدو محرفا)(٥٢) ، وكي تكون الهدنة مشتملة على جميع امصارنا حتى دون الفرات وبلاد باد(٥٣) بدون حلب ، قلت : « تعلم اني عبد مأمور ولست ملكا ، وعلي الا اتخطى التعليمات التي نقلتها اليك بصدق . اما شروطك بشأن حلب ، فقد اقسمت لك باني لم اسمع شيئا بخصوصها في بغداد . لكن هل جلالتك مستعد للنظر في تدبير خطر لي بانه من الصواب ان تقره ؟ فاستفهم : «ما هو ؟» واجبت : «ان تنص على الهدنة بيننا وبينك لتتضمن كل اقاليمنا من حمص الى منطقة باد بدون اي ذكر لقضية التسليم التي تنشدون ، فقط ولا شيء عداه ، وتقسم عليه بدينك ، وتوقعه بامضائك ، وتختمه بختمك في حضوري ، ومبعوثك سيوصله الى العاصمة معي ، حيث اما ان يقر واما ان يعيده مبعوثك » فسؤلت : « وهل ستعطي تعهدا خطيا مماثلا ؟ » فاجبت : « اجل ، عند تسليمي شروطك التي تبغي » فأجاب : « ولكن هل ستذكر في صكك تسليم الرجل ؟ » فقلت : « لا يسعني ذكر ما هو خارج تفويضي » . فقال : « اذا سأهيء اتفاقين ، احدهما لما يتعدى الفرات ومنطقة باد ، والاخر بشأن حمص وحلب كما قد اشترط . عندئذ ، اذا اختار مولاك الاتفاق الذي يتخطى تخوم الفرات شريطة اقصائه (بدراس) ، فيستطيع ان يبقيه لديه ، وان آثر الاتفاق الاخر ، فبمقدوره ان ينفذه » . فاقترحت تحرير الاتفاق بدون اي ذكر لهذه المسألة ، فقال : « اذا ، دون ذلك ، اذ لن اعطي اي شيء مكتوب بدون ان استلم الشيء المكتوب » . فقلت : « اذا ، دع ترجمانك ينشيء نسخة من اقوالي ، فان اقرّها عضد الدولة ، امكن نسخها في حضوره ، وتوقيعها من قبله » فوافق على هذا . استنادا الى ذلك ، حررت الشروط ، وجعلت الهدنة لعشر سنين . وعند الفراغ من هذا ، قلت : « لا تجعل رسولك كمجرد فيج(٥٤) : لكن اطلعه على ما تروم منه ان يفعل طبقا لما اتفقنا عليه ، ووفقا لما يرتئيه ، وصادق على كل ما يقره » . فارتضى ذلك ، وحررت الصكوك بمقتضاه .

وعند مبارحة الحاجب داره غب ابلاله ، هاج لاسباب منها تفرد الخصيص (حامل الدواة) بمليكه ، ومنها انجاز الامر في غيبته ، والسبب الثالث هو مسألة حلب وحمص والضمانات التي قدمها اليه كليب .

حديث مليك بيزنطية ، به استمال مشاعر الحاجب

حسبما افادني به بعض خواصهم ، قال العاهل مخاطبا حاجبه : « ليس حولي ، كما تعلم يا حاجبي ، من يشفق علي نظيرك ، ولا من يحتل موقعك عندي ، اذ انت مني في ادنى نسب وصله(٥٥) ، اما الباقون ، كما قال السفير ، ففير مبالين ان كان الامبراطور انا أم غيري . يجب ان تصون نفسي ونفسك ، ولا تصغي الى قول المشير (ليون فوكاس) ، ولا تثق به او بمشورته ، اذ انت تعلم ما رواه ابراهيم عنه وعن ابنه (ورد) حول اضمارهما الغش لملكنا وخبث نياتهما نحونا » . فسألت محدثي : من يكون ابراهيم ؟ اجاب : «انه رسول الخصيص اليكم ، وهو الذي اعلن للعاهل ناصحا ان الخصيص (اي برداس ـ ورد) قد انفذه

---

(٥٢) هذه ملاحظة صاحب البحث ، واعتقد انه محق في ذلك فنص (ذيل التجارب) يذكر : « ما يعرض مثله فيخرج من الجميع بغير ميتة (كذا) » . فالتشويش والغموض هنا جليان .

(٥٣) اورد صاحب البحث هذه الملاحظة بشأن (باد) : « هو الجد الاعلى لسلالة بني مروان الحاكمة في (ميافارقين) قام (باد) بمحاولة جريئة ضد الموصل بعد وفاة عضد الدولة ، لكنه اخفق وخر صريعا في المعركة . ولم يتسن لي التثبت من صحة هذه المعلومات .

(٥٤) بفتح الفاء وتسكين الياء وتعني رسول السلطان ، الذي يسعى على رجليه ، وهي من الدخيل وقد اوردها صاحب (ذيل التجارب) في نصه حول الموضوع وترجمها صاحب البحث الى (Courier) ،ومن معانيها الساعي او رفيق السياح .

(٥٥) باسيل المخصي كان الابن الطبيعي (غير الشرعي) لرومانوس ليكابينوس والد هيلين قرينة قسطنطين بورفيروجنيتوس جد الامبراطور (باسيل) ـ اميدروز .

اليكم (يقصد المسلمين) ناشدا منكم معاضدته على العصيان » .

فتقبل الحاجب مقالة الملك ، وعندما استدعاني ، لاحظت فيه لهجة وانبساطا خلافا للسابق ، لكن نظراته ، في ذات الوقت ، ابانت عن عدم موافقته على الشروط التي حصل الاتفاق عليها . وتم ترشيح حامل الدواة ليكون رسولا معي بعد رفضه المهمة ، لكن العاهل الح عليه بذلك بعد ان لم يجد عداه في اهليته ، واعانه الحاجب قائلا : «انت وانا اهم شخصيتين في البلاط ، واينا ينبغي ان يذهب» . وبلغ من جده في الامر حدا عزوته الى رغبة في اقصائه ، والى حسد لما راى من منزلته الحميمة لدى العاهل .

هذا هو موجز معاني الفاظ ابن شهرام . آنذاك كان عضد الدولة عليلا ، ودخول الناس عليه كان محظورا ، فاوعز ان يقدم اليه تقرير عما جرى . تلك العلة اودت بحياة عضد الدولة ، وبعد وفاته ، مثل المبعوث البيزنطي امام صمصام الدولة ، وتسلمت الهدايا منه ، وانجز المهمة التي قدم من اجلها ، فتم تحرير اتفاقين : احدهما الاتفاق الذي حصل مع ابن شهرام على اساس كونه كاملا ودائما والاخر الاتفاق المسبق الذي عقد مع نقفور(٥٦) .

الاتفاق بشأن ورد واخيه ونجله

ان المداولات اسفرت عن ان نقفور سيمكث في بغداد ، ويوفد مندوبا عنه برفقة اخرين من بغداد لاستحصال توقيع العاهل وختمه لشقيق (ورد) ـ المعروف عند الروم باسم سكليروز ـ وابنه ، والامان والتوثقة لهما بضمان احسانه ، واعادتهما الى منصبيهما السابقين ، والى وضعهما المستقر . وعند وصول ذلك ، كان على نقفور ان يرسلهما الى العاهل البيزنطي ، بينما على ورد (سكليروز) ان يلبث في البلاد الاسلامية ، وان يمنع من التوجه نحو البلاد البيزنطية بغرض الاضرار ، وانه عند اتضاح حسن معاملة الاثنين الاخرين وفقا للتعهد ، عندئذ يجب ارسال (ورد) ايضا في غضون العام الثالث ، بعد استحصال التوثقة بمقتضى شروط على غرار ما تم مع ابنه واخيه ، وان المبلغ المدفوع كجزية(٥٧) عن حمص وحلب من ابن حمدان الى العاهل البيزنطي ، ينبغي ـ اعتبارا من ارسال ورد الى بيزنطية ـ تسديده الى خزانة صمصام الدولة ، واذا تأخر ابن حمدان عن التسديد ، فملك بيزنطية برغمه آنذاك ، كي يوفر على صمصام الدولة ضرورة تجريد حملة عليه اما امر بلاد (باد) ، فيجب ان يتعين على ما كان من هدايا المجاملة(٥٨) الى الملك البيزنطي ، على اساس من المفهوم ان الاخير(٥٩) لن يعين (بادا) او يجيره ان اعتصم بالبيزنطيين . لقد ارسل الاتفاقان سوية وتم توقيعهما .

اما بخصوص ما جرى بشأن اطلاق (ورد) من محبسه ، فسيلي ذكره بعدئذ .

* * *

ان اعطاء الامان المقترح الى سكليروز (ورد) واقربائه لم يحصل ، واطلاقه من قبل خلف عضد الدولة جرى بعد انصرام عدة اعوام فقط عند اخفاق (باسيل) في حملته البلغارية ، وبسبب قيام (ورد) بالعصيان عليه بالاشتراك مع(فوكاس) ـ استنادا الى (الملحمة ٦٧٥/١ وتاريخ يحيى الانطاكي ١٤/١/١٦٦) ، كان نجل سكليروز ، المدعو (رومانوس) قد تخلى آنئذ عن قضية والده ، فاصاب حظوة رفيعة عند باسيل (الملحمة ٦٩٤/١، ٦٩٦ ، ٧٧٢) . هذه الرواية لا تدعم حكاية احتجاز (اورانوس) في بغداد بسبب تدبيره قتل سكليروز (ورد) بدس السم له ، ولا تعطي دليلا ما ان باسيل

---

(٥٦) اي عندما كان في بغداد رسولا من باسيل بعد فرار سكليروز (ورد) الى بلاد الاسلام ـ اميدروز .

(٥٧) وصف صاحب (ذيل التجارب) هذا المبلغ بكونه (مال المفارقة عنهما) ، بينما عبر عنه صاحب البحث بالجزية (Tribute) كما عني الاتاوة او الضريبة الثقيلة .

(٥٨) نص (ذيل التجارب) يقول : « على ما كان عليه من الملاطفة » وهذا غير مفهوم في زماننا وقد ترجمه اميدروز الى (Complimentary Presents)

(٥٩) يقصد صاحب البحث العاهل البيزنطي .

كان ساخطا على حكم وزيره[٦٠] ، باسيل المخصي ، الذ كان سقوطه مقبلا في عام ٣٧٥هـ (٩٨٥م) وهو التاريخ الذي حدده يحي بن سعيد الانطاكي (الملحمة ٥٧٣/١) .

كما انها تبين ان القيمة التي علقها باسيل على تسليم سكليروز (ورد) كانت كما لو انه على استعداد لشرائها على حساب الخراج باكمله او الجزية ، الواجب دفعهما اليه من حلب بمقتضى شروط استسلامها الى (بيتر فوكاس) في عام ٣٥٩هـ (يحيى الانطاكي ١٥/١/١٢٤ و « امبراطور بيزنطي » ص ٧٣٠) . ان هذا الشطر من المعاهدة قد ابطل ، واستمر دفع المبالغ من حلب ولو بمقادير اقل (يحي الانطاكي ٢/١/١٦٥ و ٢٢/١/١٦٦ والملحمة ٥٥٠/١ ، ٥٧٠ ــ ٥٧١) ، ومرة واحدة سددت كاملة « يحيى الانطاكي ١٢/١/١٧٦ والملحمة ٩٢/٢) . أن (شلمبرغر) يفترض ارسال المبالغ بانتظام (ص ٤٣٥) ، ومن المؤكد ان قسطا كان في سبيله الى بيزنطية عندما اعترضه سكليروز (ورد) في الايام الاولى لتمرده (٣٨٣/١) . ويهمنا ان نعرف مدى اهمية هذه الجزية في بيزنطية كمال مضمون للدولة ، وبتعبير اخر : ما كانت عليه قيمتها الشرائية في السوق . ثمة كشف دقيق في كتاب (الفرج بعد الشدة) ١٣٢/٢ و ١٢/١ ، انه قبل زهاء نصف قرن من ذلك التاريخ ، كانت قيمة قطعة ارض في سواد بغداد شروى اربعة اعوام ، بعد خصم الخراج وحقوق الدولة الاخرى . كما يتضح ان ما متوقع استلامه من ضرائب الاراضي ، احرزت قيمة مبيع عالية ، لانه هكذا كان المعول على الواردات المالية للوزيرين (ابن مقلة)ـ تجارب الامم الجزء ٣٢٧/٥ ــ ٣٢٨ ــ والمهلبي (الجزء ١٦٨/٦ ــ ١٦٩ ــ وقارن هذا بما جاء في ص ٨٢٩ و ٨٣٦ من مجلة الجمعية الاسيوية الملكية لعام ١٩١٣) . لكن من ناحية ثانية ، كانت اهمية ما يتوقع الخليفة من الجزية من حاكم خاضع له ، باعتبار ما جرى بين رسول الخليفة وعم عضد الدولة وسلفه (الجزء ٥ ص ٤٦٥ ــ ٤٦٦) تعتبر قليلة جدا في سوق بغداد ، ومن الجائز ان ذات الافتراض سيكون صحيحا فيما يتعلق بجزية حلب في سوق بيزنطية.

---

(٦٠) لاول مرة يذكر صاحب البحث بان باسيل المخصي كان وزيرا ، بينما في المواضع السالفة ذكر « الحاجب » . وحتى صاحب (ذيل التجارب) ذكر الصيغة الرومية « بركموس » ولم يذكره كوزير مطلقا .